الشرط الممتنع في القرآن الكريم -دراسة تطبيقية-

د. سلطان بن فهد بن علي الصطامي
قسم القرآن وعلومه– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

الشرط الممتنع في القرآن الكريم -دراسة تطبيقية-

د. سلطان بن فهد بن علي الصطامي

قسم القرآن وعلومه– كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة القصيم

تاريخ تقديم البحث: ٨/ ٣/ ١٤٤٣ هـ تاريخ قبول البحث: ٨/ ٥/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

هذه الدراسة تحت عنوان: (الشرط الممتنع في القرآن الكريم – دراسة تطبيقية)، وهذه الدراسة جاءت لبيان قضية قرآنية هامة، تعالج مجموعة من الموضوعات العقدية المتنوعة بأسلوب الشرط الممتنع، والمستفتح بأداة الشرط (لو).

وهذا الأسلوب هو طريقة لربط الأخبار بعضها ببعض للخروج بأوجه من المعاني والحقائق الشرعية، وذلك محاولة من الباحث في تلمس الحكم والمقاصد والعلل من هذا الشرط الممتنع، وأن هذا الامتناع من عدم تحقق الشرط، ويتبعه المشروط هو عين الحكمة والصواب المتوافق مع نظام الكون والحجة الدامغة، فظهر لنا عدد من النتائج، لعل من أجلها أن هذا الخطاب الشرطي هو الغالب في الآيات المكية، وهو المتناسب مع أسلوب الدعوة وإقامة الحجة.

الكلمات المفتاحية: (لو) ، شاء، إن.

The Impossible Condition in the Glorious Qur'an An Applied Study

Dr Sultan bin Fahd bin Ali Al-Sataami
Department of Qur'an and Its Sciences- Faculty of Shari'ah and Islamic Studies
Qassim university

Abstract:

This study under the title: (The Impossible Condition in the Glorious Qur'an – An Applied Study) came to explain an important Qur'anic issue that with a group of various doctrinal issues with the approach of the impossible condition, and which starts with the conditional particle "if" (Laou).

This approach is a method of relating news and events to each other to come out with various legal connotations and facts. This is an attempt from the researcher to elicite the wisdoms, objectives and reasons behind this impossible condition. And that this impossibility, as a result of the condition not coming to effect followed by the conditioned is the actual wisdom and the correct outcome that aligns with nature and the indisputable proof. Hence, several findings were revealed, among which the most significant is that this conditional speech is the most common among the Meccan verses, and it is the most appropriate with the approach of da'wah and establishment of proof.

key words: (Laou), wish, if.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، علم الإنسان ما لم يعلم، وعلم ما قدر في كونه أن يعلم، فله العلم الشامل بجميع المعلومات دقيقها وجليلها، وأصلي وأسلم على نبينا محمد المبعوث رحمة وهداية للعالمين، أنار طريق الهدى وأوجد في شريعته سكونا ونعيما للخلق أجمعين، وبعد .

القرآن الكريم ليس ألفاظاً ومعانيَ تردد وتكرر بأصوات وألحان شجية، إنما هو العلم بطرق الهداية ومسالك البصيرة والعلم والنور .

إن القرآن من عادته الجارية أن يتحدث لنا عن الأحكام والأخبار وما يقع معها وحولها من الآثار والوقائع، باعتبار أن لكل قول سامع، ولكل عمل تابع، وهذا هو القرآن الذي أمرنا باتباعه والسير على فهمه.

وهناك أسلوب قرآني شرطي جاء بالحديث عن أخبار لم تقع في واقع الحياة، وإنما جاء القرآن بالتلويح بها، كيف لو وقعت؟ وما هو الأثر المترتب على وقوعها؟ وما الحكمة من تناولها وبيانها في بعض المقامات؟.

وهذا الأسلوب هو الذي سوف نعرض له من خلال هذه الإشراقات القرآنية والآيات المحكمة، والتي تنوعت في مواضيعها ومقاصدها، فوسمت هذه الدراسة بعنوان:**"الشرط الممتنع في القرآن الكريم – دراسة تطبيقية –"** .

فجاءت هذه الدراسة لتكشف الغطاء عن هذا الموضوع للقيام بجمع شتاته، وإبراز أوجه ملامحه والله الهادي إلى سواء السبيل.

– أهداف الدراسة:

١– محاولة الوقوف على بعض الأسرار والحكم خلف هذا الأسلوب القرآني.

٢– توسيع مدارك الفهم للخطاب القرآني.

٣– الوقوف على بعض أوجه التشابه بين تلك الآيات التي جاءت تحت هذا الأسلوب القرآني.

– الدراسات السابقة:

الدراسات القرآنية هي فضاء واسع من العناوين والأفكار البحثية، والتي ينطلق فيها الباحث من زاوية أو جانب من جوانب التفسير العامة والخاصة.

هناك عدة رسائل تكلمت عن الشرط في القرآن ودلالاته في الآيات، ومن تلك الدراسات:

١– أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم، د. أحمد اللهيب، دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية ١٣٩٥هـ.

٢– أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية –، للباحث: فهد الجمل، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب ١٤٣٥هـ.

٣– تحليل جملة الشرط وبيان أثرها على المعنى التفسيري – دراسة تطبيقية على السور من الأحقاف إلى الصف –، الباحث: محمد قفة، الجامعة الإسلامية بغزة – كلية أصول الدين ١٤٣٨هـ، وهذه الدراسة تعتني بدراسة الألفاظ والتطبيق العملي لأدوات الشرط.

وتبقى هذه الدراسة جديدة من نوعها في تناول مثل هذه الحيثية والنظر في مضامينها.

- إجراءات البحث:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على الطريقة الانتقائية من النماذج الكثيرة في البحث، وطريقة التحليل للمعاني دون الألفاظ.

واتبعت في البحث بعض الأسس العامة أثناء الكتابة وأهمها:

١- وضعت مقدمة تحوي أهم التعريفات الخاصة بأداة الشرط.

٢- العناية بترتيب الآيات القرآنية حسب التنزيل الإلهي.

٣- قمت بكتابة الآية بالرسم العثماني في جميع البحث، ثم بعد ذلك ذكر المعنى الإجمالي، ثم ذكر أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط.

٤- عدم الترجمة المطلقة للأعلام في البحث، وإنما أذكر تأريخ الوفاة بجوار اسم العلم.

٥- تخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية مع الحرص الشديد أن يكون الدليل من أحد كتب الصحيحين ونحوهما في الصحة.

٦- الاعتماد على توثيق المعلومات من مصادرها الأصلية.

٧- ذكر أهم النتائج والتوصيات في ذيل الدراسة.

* **خطة البحث:** وتشمل: التمهيد – أهداف الدراسة – الدراسات السابقة – وإجراءات البحث – الدراسة التطبيقية.

التمهيد: ويشمل الحديث عن الشرط الممتنع، وذكر أهم قواعد وخصائص أداة الشرط.

أولاً: تعريف الشرط وأدواته.

ثانياً: بعض القواعد والخصائص الأساسية في استعمال أداة (لو) الشرطية.

– الدراسة التطبيقية: الآيات القرآنية التي جاءت بالشرط الممتنع: وتشتمل على أحد عشر مطلباً:

المطلب الأول: قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ [الشعراء:٤].

المطلب الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء: ١٩٨-١٩٩].

المطلب الثالث: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾[الإسراء:٩٥].

المطلب الرابع: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٩٩].

المطلب الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾[الحجر:١٤-١٥].

المطلب السادس: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام:٩].

المطلب السابع: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١].

المطلب الثامن: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزُّخرُف: ٦٠].

المطلب التاسع: قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

المطلب العاشر: قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٦].

المطلب الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

***

التمهيد:

الحديث عن أخبار القرآن يتناول طرقاً شتى، وهذه الطرق والأساليب تذكي في عقل القارئ الأنماط والمجالات المتعددة التي يستعملها القرآن للوصول إلى قمة الصحة والتكامل في عرض القضايا والأخبار والقصص القرآني، وهذا يشعر المؤمن بعظمة القرآن، وأن العقول البشرية مهما اجتمعت على أن تأتي بمثله ولو بآية فإن ذلك في عالم المستحيل؛ لأنه وإن صح الكلام في بعض مقاماته لم يتحقق الإعجاز الذي يوقف العاقل عند معناه ومغزاه من جوانب متعددة واحتمالات لفظية ودلالية يقف العقل عند تأملها والتدبر لها، فضلاً عن أن يفكر في محاكاتها والقرب منها.

إن أسلوب الشرط في القرآن هو أسلوب يربط لك بين الأخبار والمشاهد، ويساعد الفكر في ربط السبب بأسبابه، والعلة بالأثر، وهذه طريقة قرآنية رائدة.

وإذا سمعت قول الشاعر:

إذا شاب الغراب أتيت أهلي ... وصار القار كاللبن الحليب[1].

عرفت من هذا الأسلوب صعوبة الرجوع إلى الأهل، بل هو في حكم المستحيلات، وستدرك بعد ذلك أن للقرآن جولة حول هذه الطريقة، التي تعطيك المعنى والحكم عليه بأسلوب الشرط الممتنع.

---

(١) الدر الفريد وبيت القصيد (٤٥٢/٢) – الشعر لتميم بن حبيب الداري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن من جمال التأمل لهذا الكتاب العزيز أن تقرأ المعاني والأخبار بطرق متعددة، بحيث تحمل العقل المسلم إلى تصور الأبعاد والعلل والأوجه لعدم تحقق تلك الأخبار؛ ليزداد إيماناً بعد إيمان وتصديق، والله يتولى النفوس والأفهام.

وفي مستهل هذا التمهيد سنقف وقفة سريعة مع تعريف الشرط وبيان أدواته وخصائصه:

أولاً: تعريف الشرط وأدواته.

لابد في مستهل الحديث من النظر في معنى الشرط لغة واصطلاحاً:

الشرط لغة: يقول ابن فارس (٣٩٥هـ): "(شرط) الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم. من ذلك، الشرط: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها. ومن ذلك الحديث حين ذكر أشراط الساعة، وهي علاماتها. وسمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها. ويقولون: أشرط فلان نفسه للهلكة، إذا جعلها علماً للهلاك. ويقال: أشرط من إبله وغنمه، إذا أعد منها شيئاً للبيع"(١).

الشرط في اصطلاح النحويين وغيرهم: قال المبرد (٢٨٥هـ): "وقوع الشيء لوقوع غيره"(٢).

(١) مقاييس اللغة (٣/٢٦٠).

(٢) المقتضب (٢/٤٦).

ويقول الرضي الدبن محمد بن الحسن الاستراباذي (٦٨٦هـ): "وكلمة الشرط: ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون، أولاهما فرضاً حصول مضمون الثانية، فالمضمون الأول: مفروض ملزوم، والثاني لازمه"(١).

ويقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢هـ):" الشرط: كل حكم معلوم متعلق بأمر يقع بوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة له، وشريط وشرائط، وقد اشترطت كذا، ومنه قيل: للعلامة: الشرط، وأشراط الساعة علاماتها، قال تعالى: ﴿ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَا ﴾[محمد:١٨]، والشرط قيل: سموا بذلك لكونهم ذوي علامة يعرفون بها"(٢).

ومن المعلوم أن أدوات الشرط تأتي على نوعين: أدوات شرط عاملة جازمة، وهي إحدى عشرة أداة مثل: من، ما، مهما، متى، وأيان ونحوها(٣).

وأدوات شرط غير عاملة؛ أي غير جازمة، وهي ثمان أدوات: إذا، لو، لولا، ولوما، أمّا، كلّما، لمّا، كيف(٤).

وحديثنا سوف ينصب على أداة شرط غير عاملة، وهي (لو) وهو حرف امتناع لامتناع ، عدا موضع واحد جاءت بأداة (إن) وهي تقوم بنفس المعنى من جهة الامتناع.

---

(١) شرح الرضي على الكافية (١٨٥/٣).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٥٠).

(٣) ذكره الإمام ابن مالك في ألفيته في البيتين (٦٩٦-٦٩٧) .ص(٥٨).

(٤) معاني النحو للسامرائي (٨٣/٤).

يقول الرضي (٦٨٦هـ) : "هي موضوعة لامتناع الأول لامتناع الثاني؛ أي أن امتناع الثاني دل على امتناع الأول، لكن لا للعلة التي ذكرها، بل لأن (لو) موضوعة ليكون جزاؤها مقدر الوجود في الماضي، والمقدر وجوده في الماضي يكون ممتنعاً فيه، فيمتنع الشرط الذي هو ملزوم، لأجل امتناع لازمه؛ أي الجزاء، لأن الملزوم ينتفي بانتفاء لازمه"[١].

ثانياً: بعض القواعد والخصائص الأساسية في استعمال أداة (لو) الشرطية.

إن أداة (لو) الشرطية لها بعض الخصائص نذكرها مختصرة[٢]:

١- أن (لو) لا تأتي إلا في الزمن الماضي، حتى ولو كان الفعل مضارعاً، فإنه يدل على الزمن الماضي، وخالف في ذلك بعض النحاة، يقول ابن مالك (٧٩٠هـ):

لو حرف شرطٍ في مضي، ويقلّ ..... إيلاؤها مستقبلا، لكن قبل[٣]

٢- تختص (لو) بالجملة الفعلية، وإذا وليها اسم فهو على إضمار فعل.

٣-تنفرد (لو) عن (أن) بدخولها على أن المفتوحة التي تنصب المبتدأ وترفع الخبر.

٤-أداة الشرط (لو) تأتي على نوعين: إما شرطية امتناعية وإما شرطية غير امتناعية.

٥-أركان جملة الشرط: أداة الشرط – فعل الشرط – جواب الشرط.

---

(١) شرح الرضي على الكافية (٤/٤٥١)

(٢) مستفاد من رسالة: أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم (٢٠٥-٢٠٦).

(٣) ألفية ابن مالك، البيت ٧٠٩ ص(٥٩).

٦-قال ابن هشام (٧٦١هـ): "إذ فهم الامتناع منها كالبديهي، فإن كل من سمع (لو فعل) فهم عدم وقوع الفعل من غير تردد؛ ولهذا يصح في كل موضع استعملت فيه أن تعقبه بحرف الاستدراك داخلاً على فعل الشرط منفياً لفظاً أو معنى، تقول: لو جاءني أكرمته لكنه لم يجيء"[١].

٧-وردت (لو) في القرآن بنوعيها – حسب الجدول التالي[٢]:

الأداة	دلالتها	التكرار
لو	الامتناعية	١٣٣
لو	غير الامتناعية	٤٨

هذه بعض الخصائص العامة لأداة الشرط (لو)، أحببت أن أجعلها في مستهل هذا البحث بعيداً عن التفاصيل والتفريعات التي تعرض لها النحاة في أنواع هذه الأداة والفرق بينها وبين (إن) الشرطية، وعلاقتها بأدوات الشرط، وكذلك الحديث عن جواب (لو) وحذفه، وغيره مما تجدون تفاصيله في كتب النحاة والدراسات البلاغية، والله الموفق.

***

(١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٣٣٨)

(٢) انظر: أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم –دراسة نحوية دلالية (٨٥).

– الدراسة التطبيقية: الآيات القرآنية التي جاءت بالشرط الممتنع: وتشتمل على أحد عشر مطلباً:

هذه الدراسة التطبيقية هي نماذج متفرقة من عدد من الآيات القرآنية مرتبة حسب التنزيل من أجل بناء تصور عام لموضوعات الشرط الممتنع، وذلك حسب رأي ابن عباس[1]، والنماذج جاءت في أحد عشر آية:

المطلب الأول:

قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾ **[الشعراء: ٤].**

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن كثير (٧٧٤هـ): "أي لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكن لا نفعل ذلك لأنا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[يونس: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[هود: ١١٨- ١١٩] الآية، فنفذ قدره، ومضت حكمته، وقامت حجته البالغة على خلقه بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم"[2].

---

(١) ذكر هذا الترتيب ابن الضريس في فضائل القرآن: حدثنا محمد بن عبدالله بن أبي جعفر الرازي أنبأنا عمرو بن هارون حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن ابن عباس. انظر: الإتقان في علوم القرآن (٤٢/١).

(٢) تفسير ابن كثير (١٢٢/٦). تنوبه: يقول ابن عاشور: "وجيء بحرف (إن) الذي الغالب فيه أن يشعر بعدم الجزم بوقوع الشرط للإشعار بأن ذلك لا يشاؤه الله لحكمة اقتضت أن لا يشاءه". انظر: التحرير والتنوير (٩٥/١٩).

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- الأصل الذي مضت عليه الحكمة الربانية أن تكون الهداية مطلباً شرعياً فطرياً، لا ضرورياً كالأكل والشرب، يقول القرطبي (٦٧١هـ): "أس معجزة ظاهرة وقدرة باهرة، فتصير معارفهم ضرورية، ولكن سبق القضاء بأن تكون المعارف نظرية"(١).

٢- إن معرفة دقائق الحكمة والغايات التي يريدها الله من عباده، يتنافى مع مثل هذه الصورة المشروطة المفترضة، يقول ابن عطية (٥٤٢هـ): "والخضوع للآية المنزلة كان يترتب بأحد وجهين: إما بخوف هلاك في مخالفة الأمر المقترن بها، كنتق الجبل على بني إسرائيل، وإما أن تكون من الوضوح وبهر العقول، بحيث يقع الإذعان لها وانقياد النفوس، وكل هذين لم يأت به نبي"(٢).

٣- إن الأصل في الهداية أن تكون نابعة من القلب، ويظهر أثرها على الجوارح، وهذا يجعلنا نتسأل عن مسألة إكراه الجوارح على الدخول في الإسلام قهراً، وأن هذا مما يجعل كثيراً من النفوس في منطقة النفاق الاعتقادي، والدعوة الصحيحة تدفع مثل هذا السلوك، فلا إكراه في الدين، فلو شاء الله لدفع بالرقاب إلى الخضوع للدين قهراً، يقول السعدي (١٣٧٦هـ): "ولكن لا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨٩/١٣).

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٢٥/٤).

حاجة إلى ذلك، ولا مصلحة فيه، فإنه إذ ذاك الوقت، يكون الإيمان غير نافع، وإنما الإيمان النافع، الإيمان بالغيب"[1].

٤- إن من المعتاد أن القهر والإجبار للعباد يكون من جهة الأمثال والنظراء من بني آدم، ولكن القهر في الآية سيكون من السماء لتحقق التمكن والإحاطة بهم من كل جانب، وهذا مما يدلل على فرضية هذا المثل المضروب، ولأن حصول الأمر من السماء أصعب من حصوله في الأرض، فأصحاب عيسى عليه السلام من الحواريين طلبوا المائدة من السماء، ولو طلبوها من الأرض لكان الخطب أيسر.

***

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٨٩)، الإتقان في علوم القرآن (٤٢/١).

المطلب الثاني:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴾ **[الشعراء:١٩٨-١٩٩].**

أولا: المعنى الإجمالي:

يقول ابن جرير (٣١٠هـ): "وقوله: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولو نزلنا هذا القرآن على بعض البهائم التي لا تنطق"(١)، ويقول ابن عطية: "ثم سلى محمداً صلى الله عليه وسلم عن صدود قومه عن الشرع بأن أخبر أن هذا القرآن العربي لو سمعوه من أعجمي؛ أي من حيوان غير ناطق أو من جماد، و«الأعجم» كل ما لا يفصح، ما كانوا يؤمنون؛ أي قد ختم الكفر عليهم، فلا سبيل إلى إيمانهم، والأعجمون جمع أعجم، وهو الذي لا يفصح، وإن كان عربي النسب يقال له أعجم، وكذلك يقال للحيوانات والجمادات، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «جرح العجماء جبار»(٢)(٣).

ويقول الشوكاني (١٢٨١هـ): "لو نزلنا القرآن على الصفة التي هو عليها، على رجل من الأعجمين، الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية، فقرأه عليهم

---

(١) تفسير الطبري (٣٩٨/١٩).تتمته: عن محمد بن أبي موسى، قال: كنت واقفا إلى جنب عبد الله بن مطيع بعرفة، فتلا هذه الآية: (وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) قال: لو نزل على بعيري هذا فتكلم به ما آمنوا به. انظر: تفسير الطبري (٣٩٩/١٩).

(٢) أخرجه النسائي في سننه (٤٥/٥) رقم (٢٤٩٧)، رواه البخاري في صحيحه (١٢/٩) بلفظ: "العجماء جرحها جبار"، ومسلم (١٣٣٤/٣)باب العجماء جرحها جبار .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢٤٣/٤).

قراءة صحيحة ما كانوا به مؤمنين مع انضمام إعجاز القراءة من الرجل الأعجمي للكلام العربي إلى إعجاز القرآن، وقيل المعنى: ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم، فقرأه عليهم بلغته لم يؤمنوا به، وقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه"(١).

فتبين بذلك أن هذه الآية تحتمل عدة معان: ١- أن يكون نزول الوحي على حيوان ينطق به.

٢- أن يكون نزول الوحي على أعجمي يتلفظ بلسان العرب. ٣- أن يكون نزول الوحي على أعجمي يقرأ القرآن بلسان العجم.

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن القرآن الكريم جاء بلغة العرب التي اختارها سبحانه لتكون لغة القرآن، والقرآن جاء على لسان عربي مبين؛ ولذا فإن من القواعد المتقررة قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[إبراهيم:٤]، فالتعذر لنزوله بغير العربية هي القاعدة المثلى في ذلك، ويتوافق بذلك الحرف واللسان وكلاهما عربي.

٢- أن الشريعة تراعي المحل القابل، فإن القرآن بعربيته لا يتوافق مع اللسان العجمي، سواء كان بهيمة، وهي ليست موضعاً للتكليف فضلاً عن أن

(١) فتح القدير للشوكاني (١٣٦/٤).

تكون موضعا للنطق، ومن المستقر في العقل أن الحيوان حتى ولو نطق باللسان العربي فليس هو محل حجة أو إعذار، ولذا جاءت الآية بهذا المثل المضروب لبيان شدة العناد الذي أجمع عليه المكذبون.

ولنعلم أنه لو كان هذا القرآن نطق به لسان عجمي من البشر لم يك موضع اطمئنان للقبول؛ لعلم السامع أن من يتكلم بمثل هذا القول ليس فقيهاً بمعانيه، أو متصوراً لفصاحة ألفاظه؛ ولذا كان من الحجج القرآنية في رد شبهة المكذبين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:١٠٣].

٣- أن تصوير مثل هذه الافتراضات الشرطية التي لا يقبل العقل السليم تقبلها بموجب القواعد والقوانين الصحيحة، فضلاً عن غيرها من التلازمات العقلية التي تترتب على بطلان مثل هذه الافتراضات في تبليغ الرسالة والوحي، فالبلاغ القرآني قائم على أسس ثابتة ومنتظمة، يقبلها كل صحاب عقل وذوق، وإنما سيقت مثل هذه الشروط الممتنعة للكشف عن صور المكابرة التي تشربتها تلك النفوس الضعيفة، وأنه مهما نطق الحجر والشجر فلا تسليم للأمر الشرعي.

المطلب الثالث:

قوله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾**[الإسراء:٩٥]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن جرير (٣١٠هـ): "يقول تعالى ذكره لنبيّه: قل يا محمد لهؤلاء الذين أبوا الإيمان بك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي، استنكاراً لأن يبعث الله رسولاً من البشر: لو كان أيها الناس في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لَنزلْنَا عليهم من السماء ملكاً رسولاً؛ لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصّه الله من بني آدم برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها، فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل!، وهم لا يقدرون على رؤيتهم، وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولاً أرسلناه منهم ملكاً مثلهم"(١).

وإن مما يدعو إلى أن مثل هذا الخبر لا يتحقق وقوعه في حق هؤلاء المعاندين مع إمكانية تحققه هو كثرة مطالبهم القائمة على الهوى والتعجيز، يقول ربنا سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

---

(١) تفسير الطبري (٥٥٨/١٧).

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١-أن نواميس الكون ثابتة، وهي تسير وفق نظام كوني متكامل، لا ينخرم ولا يطرأ عليه تغير أو تأخر، وكل هذا مما يدعو العبد إلى تلمس دلائل الربوبية والألوهية لله تعالى، فالملائكة يسيرون تحت طبيعة وأعمال خلقوا من أجلها، ولذا كان نزولهم على أنبياء الله نزولا حقيقيا وليس كما يدعيه أهل الفلسفة من كونه أمرا نفسانيا، يقول ابن تيمية (٧٢٦هـ): والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالأخبار الصادقة المتواترة وجود ذلك في الخارج يعلمون أن هؤلاء جاهلون ضالون ويعلمون أن الملائكة تظهر في صورة البشر ; كما ظهرت لإبراهيم ولوط ومريم في صورة البشر وكما كان جبريل يظهر للنبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة أعرابي ويراه كثير من الناس عيانا وما في خيال الإنسان لا يراه غيره، وكذلك كما ظهر إبليس للمشركين في صورة الشيخ النجدي وظهر لهم يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فلما رأى الملائكة هرب"[(١)].

٢-أن المحافظة على حقائق الأدلة العقلية هو من الأشياء المشتركة بين البشر، فكما أنه يتعذر صعود البشر إلى السماء والعروج فيها، أو الانتقال بين أرجاء المعمورة إلا بسبب مادي كالطائرة ونحوها، وهذا من الأمور الثابتة، جاءت مسألة الإسراء والمعراج لنبينا محمد ﷺ محل إعجاز وإكرام له، فكذلك

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٢/ ٣٢٨)

يتعذر بقاء الملائكة في الأرض يمشون مستقرين، فالتعذر صادر من جهة الطبيعة، فالمشي ليس صفة مطردة في الملائكة، وإلا فإن نزولهم للأرض ثابت لا مرية فيه، والمشي هو صفة مستديمة في حق البشر؛ ولذا جاءت الآيات في ذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا﴾[الفرقان:٢٠].

٣-أن من أبرز الأمور التي تدعو إليه مثل هذه الآية المشروطة الممتنعة الرد على شبهة المخالف كما أشار إلى ذلك البيضاوي في تفسيره (٦٨٥هـ)[١]، وهذا فيه دعوة إلى أهل الحق والنظر إلى افتراض بعض المسائل والصور من أجل دحض حجة المخالف.

تأمل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء:٤٩-٥١].

يقول الشوكاني (١٢٨١هـ): "وقيل: معناه: لو كنتم حجارة أو حديداً لأعادكم كما بدأكم ولأماتكم ثم أحياكم، قال النحاس (٣٣٨هـ): وهذا قول حسن؛ لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا حجارة أو حديداً، وإنما المعنى أنهم قد أقروا بخالقهم وأنكروا البعث"[٢].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢٦٧/٣).

(٢) فتح القدير (٢٧٨/٣).

المطلب الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ **[يونس:٩٩]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول أبو جعفر (٣١٠): "يقول تعالى ذكره لنبيه: ﴿وَلَوْ شَآءَ﴾ ، يا محمد ﴿رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾، بك، فصدَّقوك أنك لي رسول، وأن ما جئتهم به وما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبودة له حقٌّ، ولكن لا يشاء ذلك؛ لأنه قد سبق من قضاء الله قبل أن يبعثك رسولاً أنه لا يؤمن بك، ولا يتّبعك فيصدقوك بما بعثك الله به من الهدى والنور، إلا من سبقت له السعادةُ في الكتاب الأوّل قبل أن تخلق السموات والأرض وما فيهن، وهؤلاء الذين عجبوا من صِدْق إيحائنا إليك هذا القرآن لتنذر به من أمرتك بإنذاره، ممَّن قد سبق له عندي أنهم لا يؤمنون بك في الكتاب السابق"(١).

يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ): "لو شاء الله لجعل مدارك الناس متساوية منساقة إلى الخير، فكانوا سواء في قبول الهدى والنظر الصحيح"(٢).

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما تضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن الرب سبحانه يخبر العبد بالمثل المضروب في تقدير الأمر الممكن، وهو هداية الناس جميعاً؛ لكي لا يستدرك العبد بعقله أو فهمه أموراً تكون

---

(١) تفسير الطبري (٢١١/١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٢/١١).

خلف الحكمة الربانية، وتقدير الأمر الواقع الذي جاءت الحكمة موافقة له، وهذا من كمال التشريع والحكمة الربانية، وأن يفرق العبد بين التصور في الأذهان وبين حقيقة الواقع في الأعيان.

٢- أن مشيئة الرب سبحانه المتضمنة لهداية جميع الناس إذا غلبت إرادة الناس واختياراتهم فلا فائدة من التكليف والتنافس في الأحكام الشرعية، وإنما أصبحت حياة الناس تسير تحت مذهب الجبرية التي تجعلهم كالريشة في مهب الريح، وفي الحقيقة أن الآية رد على القدرية(١).

٣- أن هداية الناس جميعا مما يتنافى مع خفاء المشيئة الربانية عن عالم الشهادة، فلو كتب للناس الهداية كلهم فلا فضل هنا للمجاهدة والاختيار، ولا لإنزال كتاب أو إرسال رسول.

٤- أن افتراض الهداية لجميع الناس يلغي مواطن الصراع بين الحق والباطل، والتي من خلالها تظهر جوانب الحراك في هذا الكون، والذي يدفع بالناس إلى تلمس مواضع الهداية من الغواية.

٥- أن ضرب مثل الشرط الممتنع للمشيئة عند تصوره بالنظر الصحيح تتجلى عنه إشكالات ومفاهيم مغلوطة، من تصور أن الهداية قد تقع بقدرة البشر حتى ولو كانوا أنبياء، فلما نسبت المشيئة المطلقة لله تعالى فهو من يملك حق الهداية التوفيق وحده، دلّ على أن من دونه لا يملك منها شيئاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦].

---

(١) يقول السمعاني: "في الآية رد على القدرية؛ فإنه تعالى أخبر أنه لم يشأ إيمان جميع الناس، وعندهم أنه شاء إيمان جميع الناس"، انظر: تفسير السمعاني (٢/٤٠٦).

المطلب الخامس:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ **[الحِجر: ١٤-١٥].**

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول الشوكاني(١٢٨١هـ): "﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم ﴾؛ أي: على هؤلاء المعاندين لمحمد صلى الله عليه وسلم، المكذبين له، المستهزئين به ﴿بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾؛ أي: من أبوابها المعهودة، ومكناهم من الصعود إليه، ﴿فَظَلُّوا۟ فِيهِ ﴾؛ أي: في ذلك الباب ﴿يَعْرُجُونَ ﴾يصعدون بآلة أو بغير آلة حتى يشاهدوا ما في السماء من عجائب الملكوت التي لا يجحدها جاحد، ولا يعاند عند مشاهدتها معاند، وقيل: الضمير في فظلوا للملائكة، أي: فظل الملائكة يعرجون في ذلك الباب، والكفار يشاهدونهم وينظرون صعودهم من ذلك الباب ﴿ لَقَالُوٓا۟ ﴾؛ أي: الكفار لفرط عنادهم وزيادة عتوهم، ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا ﴾ قرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[١] وهو من سكر الشراب، أو من السكر، وهو سدها عن الإحساس"[٢].

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن الشريعة تقدم البراهين القاطعة في إثبات الحقائق الشرعية أو في نفيها، فالمسائل التي قامت على الإعجاز والكرامات ليس هي المنطلق العام الذي تسير عليه الشريعة، وإن تحقق في آحاد الناس بعض ذلك من الكرامة،

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر (٣٠١/٢)، الحجة للقراء السبعة (٤٣/٥).

(٢) فتح القدير (١٤٨/٣).

فهذا الشرط المضروب افتراضاً لن يقدم حقائق فاعلة للمكذبين؛ لأنه إذا طمست معالم الهداية عن العبد، فلا يمكن أن تفتح حتى بأكبر البراهين، ومن ذلك سواء صعد إلى السماء بنفسه، أو نظر إلى الملائكة وهي تصعد.

٢- أن طبيعة البشر لا تمكنهم الصعود بذواتهم إلا بالأسباب المادية، التي تجعلهم يحلقون فوق السماء، ولذا فإن فرعون أعتى هؤلاء المكذبين طلب الصعود إلى السماء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[غافر:٣٦-٣٧].

٣- أن الله جعل للحقائق دلائل وعلامات يهتدى الناس إلى معرفتها، والتفريق بين الحقيقة والخيال وبين السرِب والسَراب، وهي طريقة في محاجة أهل الباطل قال الخليل عليه السلام لنمرود: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[البقرة:٢٥٨]، وهذا ظاهر لكل منصف عاقل، أما إذا دخلت النفس الهوى، وتعلق القلب بضلالاته، فليس لهذا الميزان منهج يحكمه به عند هؤلاء الذي جعلوا من النور ظلمة ومن الظلمة نور، فصعود مثل هؤلاء لن يزيد الحق ظهوراً في نفوسهم؛ لأن الباطل قد أشرب في قلوبهم، وما قصة انفلاق القمر على عهد الرسول ﷺ عنا ببعيد(١).

(١) عن عبد الله بن مسعود، قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذا انفلق القمر فلقتين، فكانت فلقة وراء الجبل، وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا». أخرجه مسلم (٤/٢١٥٨) باب انشقاق القمر (٢٨٠٠).

المطلب السادس:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ **[الأنعام:٩].**

هذه الآية القرآنية قدرت أن يجعل الملك رجلاً في حال إنزاله إلى الناس، وهذا أمر محال.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول الطبري (٣١٠هـ): "ولو جعلنا رسولنا إلى هؤلاء العادلِين بي، القائلين: لولا أنزل على محمّدٍ ملك بتصديقه – ملكًا ينزل عليهم من السماء، يشهد بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم، ويأمرهم باتباعه "لجعلناه رجلا"، يقول: لجعلناه في صورة رجل من البشر؛ لأنهم لا يقدرون أن يروا الملك في صورته، يقول: وإذا كان ذلك كذلك، فسواء أنزلت عليهم بذلك ملكًا أو بشرًا؛ إذ كنت إذا أنزلت عليهم ملكًا إنما أنزله بصورة إنسيّ، وحججي في كلتا الحالتين عليهم ثابتة: بأنك صادق، وأنّ ما جئتهم به حق"(١).

وهذه الآية تؤكد أن المشركين يسلمون بوجود الملائكة على وجه العموم، وإن كانوا يجهلون حقيقتهم، ولذلك قالوا أنهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ويبقى السؤال: ما الدافع الحقيقي خلف هذا الطلب؟ أهو البحث الحقيقي عن مورد التصديق والاتباع، أم هو الجدل والمماحلة لرد الدعوة؟.

---

(١) تفسير الطبري (٢٦٨/١١).

والمستقري لظواهر أحوال المشركين يعلم علماً قاطعاً أن الغاية هي البحث عن أوجه التعجيز والمكابرة ضد هذا النبي الأمي ﷺ.

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بيان الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن طبيعة الملَك في تكوينه لا تتناسب مع طبيعة البشر، فالأول خلق من نور، والثاني من طين لازب[(١)]؛ ولذا جاءت الشرائع كلها على لسان البشر من الأنبياء عليهم السلام، فالتناسب بين طبيعة الداعي والمدعو من مقاصد الدعوة، فالجن جعل لهم نذر من أنفسهم يدعونهم إلى الحق وهذا ظاهر في القرآن.

٢- أن الأصل في حكمة الباري سبحانه تجري على سنن كونية، تتناسب مع حال الخلق كلهم، فلا يستطيع بشر أن يكون ملكاً، ولا الملك أن يكون بشراً، وهذا يدفعنا إلى تضعيف أو تهوين أي قصة تحاك حول تصديق مثل تلك الأخبار، كما في قصة هاروت وماروت عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البقرة:١٠٢] ممن قال بأنهما ملكان ركب فيها شهوة البشر وإنزلا

(١) وشاهد ذلك: قول النبي الله صلى الله عليه وسلم: «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» رواه مسلم (٤/٢٢٩٤) باب في أحاديث متفرقة (٢٩٩٦).

إلى الدنيا، إلى آخر ما قيل في ذلك[1]، ويقول ابن عطية (٥٤٢هـ) تعقيباً على هذا الخبر: "فمما لا تعويلَ عليه لما أن مدارَه روايةُ اليهود، مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقلِ، ولعله من مقولة الأمثال والرموز التي قصد بها إرشادُ اللبيب الأريبِ بالترغيب والترهيب، وقيل: هما رجلان سُمِّيا ملكين

(١) تعليق: يقول القاسمي: "والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل- وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات- وكانا يعلمان الناس السحر. وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء، وما يعلمانه للناس هو بوحي من الله. وبلغ مكر هذين الرجلين، ومحافظتهما على اعتقاد الناس بالحسن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما إنما نحن فتنة فلا تكفر، أي إنما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك، أتشكر أم تكفر، وننصح لك أن لا تكفر. يقولان ذلك ليوهما الناس أن علومهما إلهية، وصناعتهما روحانية، وأنهما لا يقصدان إلا الخير. كما يفعل ذلك دجاجلة هذا الزمان، قائلين لم يعلموهم الكتابة للمحبة والبغض على زعمهم: نوصيك بأن لا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجل غير زوجها، إلى غير ذلك من الأوهام والافتراء. ولليهود في ذلك خرافات كثيرة. حتى إنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله. وأنهما ملكان جاءا لتعليمه للناس. فجاء القرآن مكذبا لهم في دعواهم نزوله من السماء، وفي ذم السحر ومن يتعلمه أو يعلمه، فقال يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين الآية، ف «ما» هنا نافية، على أصح الأقوال، ولفظ «الملكين» هنا وارد حسب العرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت". انظر: محاسن التأويل (٣٦٥/١). ونعلم أن في المسألة قولاً آخر وهو قول الطبري: "وهما ملكان من ملائكة الله، سنذكر ما روي من الأخبار في شأنهما إن شاء الله تعالى"، انظر: تفسير الطبري (٤٢١/٢) وتابعه على ذلك بعض المفسرين.

لصلاحهما ويعضُده قراءة الملِكين بالكسر[1]"[2]، وهذا المسلك قد يكون من باب القرائن التي تضعف ذلك القول، وإن كان القول الآخر له حجته وقوته، والله أعلم .

٣- أن الطبيعة البشرية ليس لديها قدرة على تحمل رؤية الملك، يقول ابن عباس: "لو رأوا الملك على صورته لماتوا؛ إذ لا يطيقون رؤيته"[3]، ويقول القرطبي (٦٧١هـ): "لأنه لو أرسل ملكاً إلى الآدميين لم يقدروا أن يروه على الهيئة التي خلق عليها، وإنما أقدر الأنبياء على ذلك، وخلق فيهم ما يقدرون به، ليكون ذلك آية لهم ومعجزة"[4]، وهم الوسطاء بين ربهم وبين رسله من بني أدم عليهم السلام، فلا يقوم أحدهما مقام الآخر، ففي حديث جبريل الطويل: قال ﷺ: فقال: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم»[5].

وهنا مسألة مهمة، وهي أن الطلب البشري الذي لا تملك النفس أو العين الإحاطة به، ليس من الحكمة طلبه إلا في وقته أو مكانه المناسب، فإن طلب موسى عليه السلام لرؤية ربه كان أمراً ممتنعاً في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ

---

(١) (وما أنزل على الملكين) بكسر اللام، ابن عباس والحسن البصري والضحاك. انظر: مختصر ابن خالويه (ص:١٦)، والمحتسب (١/١٠٠).

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١/١٣٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٦/٣٩٣).

(٤) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٣٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٩) باب سؤال جبريل عليه السلام، ومسلم (١/٣٩) باب الإيمان ما هو وبيان خصاله.

مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:١٤٣] فكان الإرشاد الرباني بأمر عملي يدرك من خلاله موسى عليه السلام صعوبة تحقق طلبه في الحياة الحيوانية دون الأبدية.

٤- أن الحق المبين الذي أراد الله إظهاره على لسان رسله وأنبيائه جعله متناسباً مع طبيعة الصراع بين الحق والباطل، والتي جاءت بطرق وحجج وبراهين عقلية وشرعية، يمكن من خلالها أن يعرف الحق من الباطل، وليس المراد هو علو الحق على جهة القهر والغلبة بدون معرفة أهله واتباعه من أهل الصبر والجهاد والثبات، وليجتهد كل مصلح في تقديم الأسباب الشرعية ولا يتعلق بالأسباب الكونية، قال تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[الشعراء:٤].

٥- أن تحقق مثل هذا الطلب من نزول الملائكة هو زيادة في الضلال بالنسبة لهؤلاء المشركين "وَقِيلَ: المعنى: لَأَضْلَلْنَاهُمْ بِمَا ضلوا به قبل أَن يبعث الملك"(١)، فمراتب الضلال تتفاوت بنوع الشبهة، أو الاعتقاد الذي تتصوره العقول وتتوهمه.

٦- أن صورة الحق ليست مرتبطة بالأشخاص أو الأجناس من الخلق، سواء كان هذا المبعوث إنساً أو جناً أو ملكاً، فمسألة الطلب من قبل المشركين ليست داخلة في محيط الحق والنظر في أنواره وحججه، إنما تعلقت بأمر

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين (٢/٦٠).

المبلغ، ولو شاء لقذف الله الحق في قلوبهم فلم يحتج سبحانه إلى إنزال كتاب أو إرسال رسول.

٧- أن قضية التلبيس للحقائق الشرعية هي قضية تزعمتها اليهود قبل غيرهم من الأمم بطرق وأساليب متنوعة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة:٤٢]، ومن صفاء الدعوة الإسلامية أنها تنأى بنفسها عن مدارك الغموض، أو التعقيد الذي يدفع بالناس إلى الفرقة، أو الاعتقاد الخاطئ.

***

المطلب السابع:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ **[الأنعام: ١١١]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن كثير (٧٧٤هـ): "يقول تعالى: ولو أننا أجبنا سؤال هؤلاء، الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم، لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها، فنزلنا عليهم الملائكة تخبرهم بالرسالة من الله بتصديق الرسل، كما سألوا فقالوا: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ [الإسراء:٩٢] ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١٢٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٢١] ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ﴾؛ أي فأخبروهم بصدق ما جاءتهم به الرسل، ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ قرأ بعضهم، قبلا بكسر القاف وفتح الباء، من المقابلة والمعاينة، وقرأ آخرون بضمهما، قيل معناه من المقابلة والمعاينة أيضاً، كما رواه علي بن أبي طلحة، والعوفي عن ابن عباس، وبه قال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم[1]، وقال مجاهد: قبلاً؛ أي أفواجاً، قبيلاً قبيلاً؛ أي تعرض عليهم كل أمة بعد أمة، فيخبرونهم بصدق الرسل

---

(١) قرأ نافع وابن عامر: كل شيء قبلا، والعذاب قبلا [الكهف/٥٥] بكسر القاف فيهما، وفتح الباء.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: كل شيء قبلا، والعذاب قبلا، مضمومة القاف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: كل شيء قبلا مضمومة القاف، والعذاب قبلا مكسورة القاف. انظر: الحجة للقراء السبعة (٣/٣٨٤).

فيما جاءوهم به ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾؛ أي إن الهداية إليه لا إليهم"[1].

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بعض الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- إن مما تقرر في مبحث سابق أن نزول الملائكة للبشر مما يمتنع طبيعة؛ لعدم تحمل طاقة البشر لرؤية الملائكة، ولذلك فإن مراعاة القدرة البشرية من الأمور المحكمة في الشريعة.

٢- أن من الأصول المتقررة أن العبد إذا فارق الحياة لا يعود بحال من الأحوال، وأن من مات قامت قيامته الصغرى، وهذا التقرير يترتب عليه نفي كل ما قد يطرأ عليه من القصص، أو الأخبار عن بعض الاعتقادات الجاهلية.

إذا تقرر هذا الأصل فإن تكليم الموتى، أو رجوعهم أمر محال، إلا على جهة الإعجاز الخارق للعادة كما وقع لنبينا محمد ﷺ أثناء حديثه لكفار قريش في قليب بدر[2]، وهذا لا يتحاكم إليه أثناء تقرير الأحكام والشواهد،

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣/٢٨٥).

(٢) والشاهد: وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر، فقال: «هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»، ثم قال: «إنهم الآن يسمعون ما أقول»، فذكر لعائشة، فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق»، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ﴾ [النمل: ٨٠] حتى قرأت الآية. أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٧٧) باب قتل أبي جهل (٣٩٨٠) ومسلم (٤/٢٢٠٣) باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار (٢٨٧٤).

فضرب هذا المثل جاء تأكيداً لمسألة العناد التي يعيشها هؤلاء المكذبون، وأن الإشكال ليس من جهة قيام الحجة، إنما من جهة الكبر والإعراض في نفوسهم، ويندرج تحت ذلك المنامات والأحلام التي ينتظرها بعض الجهال من الصوفية والمتنسكة من أجل التأكد من صحة المنهج أو خطئه.

٣- أن من الأصول العامة أنه لا تلاقي بين الأحياء والأموات في الدنيا، وأن الجميع مردهم إلى المحشر والمعاد يوم الدين، فالشرط المضروب مع افتراض تقابل هؤلاء المكذبين بمن سبقهم من الأمم وسألوهم عن دعوة الإسلام لن يكون سبباً نجاتهم وإسلامهم، وإنما هو الإصرار على الكفر قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام:٢٨]، فإن مسالك وطرق الدعوة لم تقم على مثل ذلك.

١- أن هذه الآية جمعت ثلاثة من الشروط المضروبة، وكل واحدة منهما هي آية بذاتها لو تحققت، فكيف إذا اجتمعت!، ولذا من قرائن الافتراض أن تربط بين المستحيل والممكن، فيكون الممكن في قائمة المستحيل.

***

المطلب الثامن:

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ **[الزُّخرُف: ٦٠]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول الطبري (٣١٠هـ): "ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم، فأفنينا جميعكم، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة، يخلفونكم فيها، يعبدونني، وذلك نحو قوله تعالى ذكره: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾، وكما قال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ ﴾"[(١)].

ويقول القرطبي (٦٧١هـ): "وقيل: لو نشاء لجعلنا من الإنس ملائكة وإن لم تجر العادة بذلك، والجواهر جنس واحد والاختلاف بالأوصاف"[(٢)].

ويقول ابن جزي (٧٤١هـ): "في معناها قولان: أحدهما: لو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة يسكنون الأرض، ويخلفون فيها بني آدم، فقوله: (منكم) يتعلق ببدل المحذوف أو بيخلفون، والآخر: لو نشاء لجعلنا منكم؛ أي لولدنا منكم أولاداً ملائكة يخلفونكم في الأرض، كما يخلفكم أولادكم، فإنا قادرون على أن نخلق من أولاد الناس ملائكة، فلا تنكروا أن خلقنا عيسى من غير والد، حكى ذلك الزمخشري (٥٣٨هـ)"[(٣)].

---

(١) تفسير الطبري (٦٣٠/٢١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠٥/١٦).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٢٦٢/٢). انظر: كلام الزمخشري في تفسيره الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢٦١/٤).

وهذه الآية لها ارتباط وثيق بما قبلها عند قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الزُّخرُف:٥٩]، يقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): "﴿وَلَوْ نَشَاءُ﴾إلخ؛ لتحقيقِ أنَّ مثلَ عيسَى عليه السلام ليسَ ببدعٍ من قدرةِ الله، وأنَّه تعالَى قادرٌ على أبدعَ منْ ذلكَ وأبرعَ، مع التنبيهِ على سقوطِ الملائكةِ أيضاً من درجةِ المعبوديةِ؛ أي قدرتُنا بحيثُ لو نشاءُ ﴿لَجَعَلْنَا﴾؛ أي لخلقَنا بطريقِ التوالدِ ﴿مِنكُم﴾، وأنتمُ رجالٌ ليسَ من شأنِكم الولادةُ ﴿مَّلَٰٓئِكَةً﴾كما خلقناهُم بطريقِ الإبداعِ ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ مستقرينَ فيها، كما جعلناهُم مستقرينَ في السماءِ ﴿يَخْلُفُونَ﴾؛ أي يخلُفونكُم مثلَ أولادِكم فيمَا تأتونَ وما تذرونَ ويُباشرونَ الأفاعيلَ المنوطةَ بمباشرتِكم مع أنَّ شأنَهُم التسبيحُ والتقديسُ في السماءِ فمَنْ شأنُهم بهذه المثابةِ بالنسبةِ إلى القدرةِ الربانيةِ كيفَ يُتوهمُ استحقاقُهم للمعبوديةِ أو انتسابُهم إليهِ تعالى عن ذلك علوا"(١).

فقد علم من محصل الآية أنها تحتمل عدة أمور: ١- أن يستبدل الله البشرية بالملائكة الكرام يعيشون في الأرض، ٢- أن تتولد الملائكة من أصلاب الرجال من بني آدم ليعبدوه في الأرض، وهذه أصعب من الأولى.

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما تضمنه:

سوف نعرض إلى بعض الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٥٢/٨).

١- أن مشيئة الرب سبحانه تعرض لصور وتقديرات كونية لم تقع مع وجود مصادر القدرة الكاملة على وقوعها، لكي يبقى حيز العقل أصغر بكثير من القدرة والمشيئة الربانية التي أحاطت بكل شيء رحمة وعلماً.

٢- أن التوزيع الرباني لمخلوقاته من إنسان وملك وجان مرتبط بحكم يكمل بعضها بعضاً، ويحصل بينها نوع من التداخل من بعض الجهات، ويستقل كل خلق بجانب من الصفات الذاتية والسلوكية التي تركب منها، وهذا كله مرتبط ببديع خالق السموات والأرض، وهذا التوزيع الرباني هو الذي يعطي كل فئة أن تعبده على طريقة معينة تتناسب مع صفاتها، فالبشر لهم طريقة في التعبد تختلف عن طريقة الملائكة، الذين خصهم الله بأوصاف تجعلهم في ميدان الطاعة والامتثال.

٣- أن من جميل التقريرات القرآنية أن الله يضرب مثلاً بأمر حارت حوله العقول، وهي ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، وهذا مثل قريب للعقول، وهذا المثل خالف طبيعة الخلق البشري، ومع ذلك لما ثبتت أنوار الحقيقة حوله اضطربت حوله الأمم من اليهود والنصارى، فالأولى وقعت في التهمة والثانية سلمت بمقام الألوهية له، وكلهما أخذ نصيبه من الغضب والضلال.

٤- أن الضلال الذي وقع فيه النصارى من عبادة عيسى عليه السلام، وهو متولد أم بشرية ثابتة، فكيف تكون العبادة لو تولد عيسى عليه السلام من الملائكة!، فكيف لو كان عيسى أصل مادة خلقة من الملائكة! كيف يكون اعتقاد النصارى فيه أيضا؟!.

يقول القاسمي (١٣٣٢هـ): "﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيۡرٌ أَمۡ هُوَ ﴾؛ يعنون بآلهتهم الملائكة الذين عبدوهم، زعماً منهم أنهم بنات الله تعالى، كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة؛ أي أنهم خير من عيسى وأفضل؛ لأنهم من الملأ الأعلى والنوع الأسمى، فإذا جازت عبادة المفضول وهو عيسى، فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة. كأنهم يقررون على شركهم أصولاً صحيحة ويبنون على تمسكهم أقيسة صريحة، وغفلوا لجهلهم عن بطلان المقيس والمقيس عليه، وأن البرهان الصادع قام على بطلان عبادة غيره تعالى، وعلى استحالة التوالد في ذاته العلية، وإذا اتضح الهدى فما وراءه إلا الضلال والمشاغبة بالجدال"(١).

***

(١) محاسن التأويل (٨/٣٩٥).

المطلب التاسع:

قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ **[الكهف:١٠٩]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن كثير (٧٧٤هـ): "قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه، لنفد البحر قبل أن يفرغ كتابة ذلك، ولو جئنا بمثله؛ أي بمثل البحر آخر، ثم آخر وهلم جرا، بحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان:٢٧]"(١)، وهذا الآية من الآيات القرآنية التي يثبت فيها وقوع الجزاء، وإن تعذر وقوع الشرط، بخلاف بقية الآيات التي جاءت في الدراسة.

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بعض الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن الشريعة تنأى بالعقول والفطر عن ربط الأسباب بغير مسبباتها الحقيقية وغير المعتبرة.

فالسبب لابد أن يظهر علاقة تأثيره بالمسبب، كعلاقة العلاج بالمرض، أما الأسباب التي لا يتحصل من خلفها أمر ليس له علاقة، أو تأثير بالمسبب فالشريعة تمنعه: "فلا عدوى ولا طيرة"(٢)، فلما كانت كلمات الله تعالى باقية

---

(١) تفسير ابن كثير (١٨٢/٥).

(٢) أصل هذا حديث قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى ولا صفر، ولا هامة»، فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال الإبل، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمن أعدى الأول» رواه البخاري في

ومتجددة، سواء بقيت الأقلام والبحر تمده أو نفدت، دل ذلك على عظمة كلمات الله تعالى، وأن السبب لا أثر له بالمسبب.

٢- أن هذا المثل المضروب - على فرض وقوعه - هو تبيان لمسألة مهمة؛ وهي أن ربط القضايا الأبدية والمستمرة كصفة الكلام لله تعالى بقضية منتهية، وهي تصور فناء ماء البحر باعتباره مداد للكتابة هو تعظيم من قدر الشيء السرمدي، يقول القاسمي (١٣٣٢هـ): "دلت الآية على أنه تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء، وكما شاء، وأن كلماته لا نهاية لها، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله وغيره من الأئمة: لم يزل الله متكلماً إذا شاء وهو يتكلم بمشيئته وقدرته، يتكلم بشيء بعد شيء، وهو مذهب سلف الأمة، وأئمة السنة، وكثير من أهل الكلام"(١).

فالمقارنات العقلية والتصورية مما يقرب للأذهان جلالة الأمر، أو حقارته كل بحسبه، كما جاء في قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام: وفيه وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر"(٢)؛ لبيان قلة علم موسى عليه السلام مقارنة بعلم الله سبحانه وتعالى.

٣- أن ربط المخلوق أين كانت عظمته كالبحار وغيرها بإحدى صفات الخالق هو ارتباط بين الثرى والثريا، فالمخلوق أمره إلى الفناء والزوال وأما صفات الخالق فهي أزلية الدوام والبقاء.

صحيحه (١٣٨/٧) باب لا هامة (٥٧٧٠)، فالطيرة ليس لها سبب شرعي أو حسي يعتمد عليه.

(١) محاسن التأويل (٨١/٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩/٦) باب: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ (٤٧٢٥)، ومسلم (١٨٤٩/٤)باب من فضائل الخضر (٢٣٨٠). .

المطلب العاشر:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ **[الحاقة: ٤٤-٤٦].**

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن كثير(٧٧٤هـ): "﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾؛ أي محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئاً من عنده، فنسبه إلينا، وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال تعالى:﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه"[(١)]، فالشرط وجوابه في الآية جاء متعلقاً في سلامة وثبات هذه الرسالة المحمدية، بيضاء نقية من الشك أو التناقض.

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بعض الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

١- أن الرسل والأنبياء هم صفوة الخلق أجمعين، وهم أكمل الناس ديناً وعلماً وورعاً، والله لا يختار لرسالته إلا من يشاء، ممن زكاهم بنفسه قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[الأنعام:١٢٤]، وقال سبحانه في حق موسى عليه السلام:﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢٣٣).

وهذا كله يقرر أصلاً عاماً أن الرسل التي لم يقع منها الكذب، أو التقول على البشر، لا يمكن بحال أن تكذب، أو تتقول في حق رب البشر.

٢- أن هذا الشرط المضروب الممتنع له منافع متعددة، منها: الرد على كل من قد يتهم رسولاً في دعوته، أو من يظن أنه يقع على لسانه الخطأ، أو الغلط، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم:٣-٤]، ومنها: متابعة الرب سبحانه لدعوة رسله، والتصحيح لما قد يلحقهم من اجتهاد أو رأي لهذا النبي المبارك ﷺ.

يقول السعدي: "فلو قدر أن الرسول - حاشا وكلا - تقوَّل على الله لعاجله بالعقوبة، وأخذه أخذ عزيز مقتدر؛ لأنه حكيم، على كل شيء قدير، فحكمته تقتضي أن لا يمهل الكاذب عليه، الذي يزعم أن الله أباح له دماء من خالفه وأموالهم، وأنه هو وأتباعه لهم النجاة، ومن خالفه فله الهلاك، فإذا كان الله قد أيد رسوله بالمعجزات، وبرهن على صدق ما جاء به بالآيات البينات، ونصره على أعدائه، ومكنه من نواصيهم، فهو أكبر شهادة منه على رسالته"(١).

٣- أن الشريعة التي جاء بها نبينا محمد ﷺ أو غيره من الأنبياء هي شريعة متكاملة، يصدِّق أولها آخرها، فالأقاويل لو قدر موقعها في زمن، أو حكم لتبين لأهل الباطل قبل أهل الحق وجود التناقض والاضطراب فيها، فالشريعة ثابتة ولم يستطع أحد من أهل الدراسات الاستشراقية أو الغربية أن يقف على حقيقة تخالف ما جاء في الكتاب والسنة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٨٥).

المطلب الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[الحشر: ٢١]**.

أولاً: المعنى الإجمالي:

يقول ابن جرير (٣١٠هـ): "يقول جلّ ثناؤه: لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وهو حجر، لرأيته يا محمد خاشعًا؛ يقول: متذللاً متصدّعاً من خشية الله على قساوته، حذرًا من أن لا يؤدّي حقّ الله المفترض عليه في تعظيم القرآن، وقد أنزل على ابن آدم وهو بحقه مستخفٌّ، وعنه عما فيه من العِبَر والذكر مُعْرض، كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا"(١)، وهذه الآية فيها دلالة على عظمة القرآن وشدة تأثيره في القلوب، وذلك لمن استجمع صفات التذكر، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾ [ق:٣٧].

ثانياً: أوجه الامتناع من تحقق وقوع الشرط وما يتضمنه:

سوف نعرض إلى بعض الدلائل والشواهد والعلل التي تمنع من وقوع المخبر عنه، ويمكن إيجازها بالأوجه التالية:

---

(١) تفسير الطبري (٢٣/٣٠٠).

تتمة: من المناسبات التي يشار إليها في هذا المقام أن سورة الحشر وهي سورة بني النضير قررت في بداية السورة كيف كان خراب بيوت أولئك اليهود بأيديهم حيث لم ينتقعوا بالقرآن، وهنا جاء التصدع للجبال أثر ما قد يلحقها من عظمة هذا الكتاب، فشتان بين من أفسد قلبه لتتصدع حيطانه بيده وبين من تصدعت أركانه ليظهر أثره في ذاته.

١- أن عظمة القرآن المنزل لها أثر بالغ في قلوب أهل الإيمان، فعلى تقدير نزوله على الجبال، وهي الحجارة الصماء، والتي امتنعت عليها قابلية التلقي والفهم والإدراك، فلا يرجى منها خشية أو تأثراً؛ ولذا فإن الخشية المستوجبة وقوعها في قلب من يعقل ويفهم من بني آدم هي من باب أولى.

يقول السعدي (١٣٧٦هـ): "فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعاً متصدعا من خشية الله؛ أي: لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحِكم والمصالح المقرونة بها، وهي من أسهل شيء على النفوس، وأيسرها على الأبدان، خالية من التكلف لا تناقض فيها ولا اختلاف، ولا صعوبة فيها ولا اعتساف، تصلح لكل زمان ومكان، وتليق لكل أحد، ثم أخبر تعالى أنه يضرب للناس الأمثال، ويوضح لعباده في كتابه الحلال والحرام، لأجل أن يتفكروا في آياته ويتدبروها، فإن التفكر فيها يفتح للعبد خزائن العلم، ويبين له طرق الخير والشر، ويحثه على مكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم، ويزجره عن مساوئ الأخلاق، فلا أنفع للعبد من التفكر في القرآن والتدبر لمعانيه"[١]، فهذا أسلوب في الزجر والتحذير عن الغفلة عن مثل هذا الباب.

٢- أن طبيعة الرسالة القرآنية والغاية التي جاءت بها من الآيات متعلقة بأهل التكليف دون غيرهم، فالتكاليف الشريعة منوطة بالاختيار والعمل، وهذا من واجبات البشرية دون الجبلية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٣).

يقول ابن عاشور(١٣٩٣هـ): "وقد ضرب هذا مثلاً لقسوة الذين نسوا الله، وانتفاء تأثرهم بقوارع القرآن، والمراد بالجبل: حقيقته؛ لأن الكلام فرض وتقدير، كما هو مقتضى لو أن تجيء في الشروط المفروضة، فالجبل: مثال لأشد الأشياء صلابة وقلة تأثر بما يقرعه"[١]، فوقعه في غير محله ليس من الحكمة الشرعية، ولكنه من باب "إياك أعني واسمعي يا جاره"[٢].

٣- أن التصدع هي عملية طبيعية في الأشياء الصلبة كالجبال والأودية ونحوها، من وجود الشقوق أو التشققات نتيجة الزلازل أو البراكين أو الهزات الأرضية، وهذا أمر ظاهر للعيان، ولو وقع الفعل لظهر الأثر، فربط هذه الظاهرة بمسألة الخشوع عند نزول القرآن هي مناسبة لطيفة، يشرف التأكيد عليها، فكان الأولى بالعبد أن يجعل لهذا القرآن أثراً في قلبه وسلوكه.

***

(١) التحرير والتنوير (١١٦/٢٨)، مجمع الأمثال (٤٩/١)
يضرب لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره.

(٢) يضرب: لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيره. انظر: مجمع الأمثال (٤٩/١).

أهم النتائج والتوصيات:

بعد هذه الجولة البحثية من الدراسة للآيات القرآنية التي يجمعها ضابط واحد، وهو الشرط الممتنع بأداة الشرط (لو)، والتي بدأتها بسورة الشعراء حتى سورة الحشر أقف مع هذه النتائج العامة:

١- أن هذا الأسلوب الشرطي جاء سمة عامة في الآيات القرآنية المكية، ويقل في الآيات المدنية.

٢- أن هذا الأسلوب الشرطي هو سمة بارزة في المسائل العقدية دون الأحكام الشرعية، ويدور حديثها حول إثبات الرسالة والوحي ومسائل الهداية للبشرية.

٣- أن القرآن العظيم بأسلوبه يسبق العقل البشري في بناء التصور العام للقضايا ليكشف لنا بين المفترض الذهني وبين الواقع العملي الموافق للحكمة الربانية.

٤- أن القرآن الكريم يبني دعوته وأصوله على أسس ثابتة فطرية وعقلية، يمتنع معها التخمين والدجل.

٥- أن هذه الآيات القرآنية إذا امتنع الشرط فيها يمتنع معها المشروط إلا في آية الكهف.

التوصيات:

١- دراسة بقية الآيات القرآنية التي جاءت بهذا الأسلوب الشرطي، وتلمس الغايات بين فعل الشرط وجوابه.

٢- دراسة التلازمات بين الأخبار القرآنية وأثر بعضها على بعض.

المراجع والمصادر:

١. الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. أدوات الشرط غير الجازمة في القرآن الكريم – دراسة نحوية دلالية –، للباحث: فهد الجمل، الجامعة الإسلامية بغزة، كلية الآداب ١٤٣٥هـ.

٣. أساليب القسم والشرط في القرآن الكريم، د. أحمد اللهيب، دكتوراه، جامعة الزهر، كلية اللغة العربية ١٣٩٥هـ.

٤. ألفية ابن مالك، المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: ٦٧٢هـ)، الناشر: دار التعاون، د.ط، د.ت.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.

٦. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٧. التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله

الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ.
٨. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
٩. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.
١٠. تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١١. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ.

١٢.تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
١٣.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
١٤.الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
١٥.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم ، الناشر: دار العاصمة، السعودية ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.
١٦.الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق/ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م.

١٧.الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٨.شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، المؤلف: محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي النجفي الرضي، المحقق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي - يحي بشير مصطفى، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ - ١٩٦٦م.
١٩.صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠.فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ.
٢١.الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٢.المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٣.مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
٢٤.محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ.
٢٥.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢هـ.
٢٦.مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، المؤلف: ابن خالويه، الناشر: مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ط، د.ت.
٢٧.المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
٢٨.معاني النحو، المؤلف: د. فاضل صالح السامرائي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٢٩.معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٠.مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر - دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥م.
٣١.المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٣٢.المقتضب، المؤلف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عظيمة.، الناشر: عالم الكتب. — بيروت، د.ط، د.ت.
٣٣.النشر في القراءات العشر، المؤلف : شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى : ٨٣٣ هـ)، المحقق : علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ)، الناشر : المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية]، د.ط، د.ت.

Bibliography

1. Al-Itqaan fi Uluum Al-Qur'aan, by: Abdur Rahmaan bin Abi Bakr, Jalaaluddeen Al-Suyouti (d. 911 AH), Investigation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Publisher: The Egyptian General Council for Books. 1394 AH/ 1974.
2. The Unexpress Tools for Condition in the Glorious Qur'an - A Grammatical Connotational Study- (Arabic), by: Fahd Al-Jumal, Islamic University of Gaza, Faculty of Arts, 1435 AH.
3. Styles of Swearing and Condition in the Glorious Qur'an, Dr. Ahmad Al-Laheeb, PhD, Al-Azhar University, Faculty of Arabic Language, 1395 AH.
4. Alfiyyah Ibn Maalik, by Muhammad bin 'Abdillaah, Ibn Maalik Al-Taai Al-Jiyaani, Abu 'Abdillaah, Jamaaluddeen (d. 672), Publisher: N.P, N.D.
5. Anwaar Al-Tanzeel wa Asraar Al-Tahweel, by: Naasirudeen Abu Sa'eed Abdullaah bin Umar bin Muhammad Al-Sheeraazi Al-Baydaawi (d. 685 AH), Investigation: Muhammad 'Abdur Rahmaan Al-Mir'ashli, Publisher: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi – Beirut, 1st ed., 1418 AH.
6. Al-Tahreer wa Al-Tanweer "Tahreer Al-Ma'na Al-Sadeed wa Tanweer Al-'Aql Al-Jadeed min Tafseer Al-Kitaab Al-Majeed", by: Muhammad Al-Taahir bin Muhammad bin Muhammad Al-Taahir bin 'Aashour Al-Tuunesi (d. 1393 AH), Publisher: Al-Daar Al-Tuneesiyyah for Publication – Tunisia, 1984.
7. Al-Tasheer li Uluum Al-Tanzeel, by: Abu Al-Qaasim Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin 'Abdillaah, Ibn Juzay Al-Kalbi Al-Garnaati (d. 741 AH), Investigation: Dr 'Abdullaah Al-Khaalidi, Publisher: Al-Arqam bin Abi Al-Arqam Company – Beirut, 1st ed., 1416 AH.
8. Tafseer Abi Su'uud – Irshaad Al-'Aql Al-Saleem Ilaa Mazaayaa Al-Kitaab Al-Kareem- by: Abu Su'uud Al-'Imaadi Muhammad bin Muhammad bin Mustafa (d. 982 AH), Publisher: Daar Ihyaa Al-Turaath Al-'Arabi, Beirut: N.E, N.D.
9. Tafseer Al-Tabari – Jaami' Al-Bayaan 'an Tahweel Aay Al-Qur'aan-, Muhammad bin Jareer bin Yazeed bin Katheer bin Gaalib Al-Aamili, Abu Ja'far Al-Tabari (d. 310 AH), Investigation: Dr Abdullaah bin Abdil Muhsin Al-Turku, in collaboration with Center for Islamic Researches and Studies at Daar Hajar, Dr Abdullaah Al-Sanad Hasan Yamaamah, Publisher: Daar Hajar for Printing and Distribution and Publicity, 1st ed., 1422 AH – 2001.

10. Tafseer Al-Qur'aan Al-Azeez, by: Abu 'Abdillaah Muhammad bin 'Abdillaah bin Isa bin Al-Marri, Al-Ilbeeri known as Ibn Abi Zamaneen Al-Maaliki (d. 399 AH), Investigation: Abu 'Abdullaah Husain bin Okasha – Muhammad bin Mustafa Al-Kanz, Publisher: Al-Farouq Al-Hadeetha – Egypt/ Cairo, 1st ed., 1423 AH – 2002.
11. Tafseer Al-Qur'aan Al-'Adheem (Ibn Katheer), by: Abu Al-Fidaa Isma'eel bin Umar bin Katheer Al-Qurashi Al-Basri then Al-Dimashqhi (d. 774), Investigation:Muhammad Husain Shamsudeen, Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Publications of Muhammad Ali Baydoun – Beirut, 1st ed., 1419 AH.
12. Tafseer Al-Qur'an, by: Abu Al-Mudhaffaar, Mansour bin Muhammad bin Al-Jabbaar Ibn Ahmad Al-Marwazi Al-Sam'aani Al-Tameemi Al-Hanafi then Al-Shaafi'I (d. 489 AH), Invetsigation: Yaasir bin Ibrahim and Gunaim bin Abbaas bin Gunaim, by: Daar Al-Watan, Riyadh – Saudi Arabia, 1st ed., 1418 AH -1997.
13. Tayseer Al-Kareem fi Tafseer Kalaam Al-Mannaan, by: 'Abdur Rahmaan bin Naasir bin 'Abdillaah Al-Sa'di (d. 1376 AH), Investigation: 'Abdur Rahmaan bin Ma'alla Al-Luwayhiq, publisher: Al-Risaalah Foundation, 1st ed., 1420 AH- 2000.
14. Al-Jaami' li Ahkaam Al-Qur'aan – Tafseer Al-Qurtubi, by: Abu 'Abdilllah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr bin Farah Al-Ansaari Al-Khazraji Shamsudeen Al-Qurtubi (d. 671 AH), Investigation: Ahmad Al-Bardouni and Ibrahim Utaifis, Publisher: Daar Al-Kutub Al-Misriyyah – Cairo, 2nd ed., 1384 AH – 1964.
15. Al-Jawaab Al-Saheeh li man Baddala Deen Al-Maseeh, by: Taqiuddeen Abul Abbas Ahmad bin 'Abdil Haleem Ibn Taimiyyah Al-Harraani Al-Hanbali Al-Dimashqi (d. 728 AH), Investigation: 'Ali bin Hassan – Abdul Azeez bin Ibrahim, Publisher: Daar Al-'Aasimah, Saudi Arabia, 2nd ed., 1419 AH.
16. Al-Hujja lil Qurraa Al-Sab'a, by: Al-Hassan bin Ahmad bin 'Abdil Gaffaar Al-Faarisi originally, Abu 'Ali (d. 377 AH), Investigation: Badrudeen Quhuuji – Basheer Juwayjaani, Revised and investigated by: 'Abdul Azeez Rabaah, Ahmad Yusuf Al-Daqaaq, Publisher: Daar Al-Maymoun for Heritage – Damascus/ Beirut, 2nd ed., 1413 – 1993.
17. Al-Durr Al-Fareed wa Bayt Al-Qaseed, by: Muhammad bin Aydemir Al-Musta'simi (d. 639 AH – 710 AH), Investigation: Dr Kaamil Sulaymaan Al-Jubouri, Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, Beirut – Lebanon, 1st ed., 1436 AH – 2010.
18. Sharh Al-Radiyy li Kaafiyyat Ibn Al-Haajib, by Muhammad bin Al-Hassan Al-Istirbaadhi Al-Samnaai Al-Najafi Al-Radiyy, Investigation: Hassan bin Muhammad bin Ibrahim Al-Hifdhi – Yahya Basheer

Mustafa, Publisher: Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1417 AH – 1966.
19. Saheeh Al-Bukhaari, by: Muhammad bin Isma'eel Abu 'Abdillaah Al-Bukhaari Al-Ju'fi, Investigation: Muhammad Zuhayr bin Naasir Al-Naasir, publisher: Daar Tawq Al-Najaah (photocopied from Al-Sultaaniyyah with the addition of the numbering of Muhammad Fuad Abdul Baaqi), 1st ed., 1422 AH.
20. Fath Al-Qadeer, by: Muhammad bin Ali bin Muhammad bin 'Abdillaah Al-Shawkaani Al-Yamani (d. 1250 AH), publisher: Daar Ibn Kaheer, Daar Al-Kalim Al-Tayyib – Damascus – Beirut, 1st ed., 1414 AH.
21. Al-Kashaaf 'an Haqaaiq Gawaamid Al-Tanzeel, by: Abu Al-Qaasim Mahmuud bin 'Amr bin Ahmad, Al-Zamaskshari Jaarullaah (d. 538 AH), Publisher: Daar Al-Kitaab Al-Arabi –Beirut, 2nd ed., 1407 AH.
22. Al-Mujtaba min Al-Sunan – Al-Sunan Al-Sugra by Al-Nasaai, by: Abu 'Abdir Rahmaan Ahmad bin Shu'aib bin 'Ali Al-Khurasaani, Al-Nasaai (d. 303 AH), Investigation: 'Abdul Fattaah Abu Guddah, Publisher: Maktab Al-Matbou'aat Al-Islaamiyyah – Aleppo, 2nd ed., 1406 AH – 1986.
23. Majma' Al-Amthaal, by: Abu Al-Fadl Ahmad bin Muhammad bin Ibrahim Al-Maydaani Al-Naisaabuuri (d. 518 AH), Investigtaion: Muhammad Muhyiddeen Abdul Hameed, Publisher: Daar Al-Ma'rifah, Beirut – Lebanon: N.E, N.D.
24. Mahaasin Al-Tahweel, by: Muhammad Jamaaluddeen bin Muhammad Sa'eed bin Qaasim Al-Hallaaq Al-Qaasimi (d. 1332 AH), Investigation: Muhammad Baasil 'Uyuun Al-Soud, Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, - Beirut, 1st ed., 1418 AH.
25. Al-Muharrar fi Tafseer Al-Kitaab Al-'Azeez, by: Abu Muhammad 'Abdul Haqq bin Gaalib bin 'Abdir Rahmaan bin Tamaam bin 'Atiyyah Al-Andalusi Al-Muhaaribi (d. 542 AH), Investigation: 'Abdus Salaam Abdul Shaafi Muhammad, Publisher: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah – Beirut, 1st ed., 1422 AH.
26. Mukhtasar fi Shawaadh Al-Qur'aan min Kitaab Al-Badee', by: Ibn Khaaluwayh, Publisher: Maktabah Al-Mutanabbih, Cairo: N.E, N.D.
27. Al-Musnad Al-Saheeh Al-Mukhtasar bi Naql Al-'Adl 'an Al-'Adl Ilaa Rasuulillaah –salla Allaah 'alayhi wa sallam, by: Muslim bin Al-Hajjaaj Abu Al-Husain Al-Qushayri Al-Naisaabuuri (d. 261 AH).
28. Ma'aany Al-Nahw, by: Dr. Fadl Saalih Al-Saamraai, publisher: Daar Al-Fikr for Printing and Publication and Distribution – Jordan, 1st ed., 1420 AH – 2000.

29. Mu'jam Maqayees Al-Lugha, by: Ahmad bin Faaris bin Zakariyyah Al-Qazweini Al-Raazi, Abu Al-Husain (d. 395 AH), Investigation; Abdus Salaam Muhammad Haaroun, Publisher: Daar Al-Fikr, 1399 AH – 1979.
30. Mugni Al-Labeeb 'an Kutub Al-A'aareeb, by: Abdullaah bin Yusuf bin Ahmad bin 'Abdillaah Ibn Yusuf, Abu Muhammad, Jamaaluddeen, Ibn Hishaam (d. 761 AH), Investigtaion: Dr. Maazin Al-Mubaarak/ Muhammad 'Ali Hamadullaah , Publisher: Daar Al-Fikr – Damascus, 6th ed., 1985.
31. Al-Mufradaat fi Gareeb Al-Qur'an, by: Abu Al-Qaasim Al-Husain bin Muhammad known as Al-Raagib Al-Asbihaani (d. 502 AH), Investigation: Safwaan Adnaan Al-Daawuudi, Publisher: Daar Al-Qalam, Al-Daar Al-Shaamiyyah – Damascus Beirut, 1st ed., 1412 AH.
32. Al-Muqtadab, by: Muhammad bin Yazeed bin 'Abdil Akbar Al-Thamaali Al-Azdi, Abu 'Abbaas, known as Al-Mubarrid (d. 285 AH), Investigation: Muhammad 'Abdul Khaaliq 'Adheemah, Publisher: 'Aalam Al-Kutub – Beirut, N.E, N.D.
33. Al-Nashr fi Al-Qiraa'aat Al-'Ashr, by: Shamsudeen Abu Al-Khayr Ibn Al-Jazari, Muhammad bin Muhammad bin Yusuf (d. 833 AH), Investigation: 'Ali Muhammad Al-Dabaa' (d. 1380 AH), Publisher: Al-Matba'ah Al-Tijaariyyah Al-Kubra [photocopied by Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah], N.E, N.D.

***